سرقة ليلة عيد الميلاد

للكاتب الانجليزى : ا. و. ماسون
ترجمة : بديع حزين حنا -

جئت تحدونى فى الآمال العراض ، فان مستر فيلكس وهو أعزب فى الخامسة والستين من عمره كان مشهورا عنه أنه جعل من دولاب معين لديه ولمدة ثلاثين عاما معبوده .. ويمكن لامير هندى او مليونير أن يقوم بجمع التحف ولكن مستر فيلكس وهو ليس بمثل هذا الثراء كان يقوم بانتقاء كل قطعة من تحفه على حدة فى عناية ودقة متناهيتين ولم يكن يحرز الاالأحسن وكان هذا الأحسن محفوظا بدقة متناهية فى حواشى من القطن ومرفق بكل منها بطاقتها الخاصة ومسجلا عليها مواصفاتها بخط رشيق جميل . وكلها موضوعة فى ذلك الدولاب فى مجموعة من الادراج يمكن لمتمرن مثلى أن يفتحها بدبوس شعر .

كان الدرج الأعلى يحتوى على جعارين وأنا لست خبيرا بها ، أما الثانى فيحتوى على تماثيل مختلفة منحوتة بدقة رائعة .. ومن خلال ضوء مصباحى انتقيت خمس أو ست قطع منها قبل وضعها فى حقيبتى ويحتوى الدرج الثالث على زمردة مفردة تساوى قيمتها فدية ملك .. ثم مشبك به حجران من الياقوت وقلادة من اللؤلؤ الأسود تتدرج فى أحجامها بمقياس شعرة .. وعند ذلك عرفت أننى - وقد قرأت ذلك حتى فى الطريقة الرائعة المثلى التى نظمت بها المجموعة - الكاملة مع فنان أصيل .. وتنهدت اذ أن فنانى هذا العالم يعيشون على افتراس بعضهم البعض .. وكان الدرج الرابع خاصا بالتحف الدقيقة وكلها محلاة بالماس ثم الخامس الذى خصص لعلب النشوق . منها المصنوع من الذهب مرين بنقوش ملكية وآخر مصنوع من صدف السلحفاة والذهب .. وغيره . وقد أحدث اثنان منهما عند سقوطهما فى الحقيبة رنينا أفزعنى بعض الشيء وتمهلت لحظة ثم نظرت خلفى

وكانت النافذة لاتزال مفتوحة كما تركتها أما فى الخارج فكان الليل بصقيعه دون رياح .. وكانت الثلوج التى تتراكم فوق أسطح المنازل تسطع تحت قمر شتوى قرب ربعه الأول بالانتهاء .. ولكن ورغم أن الليلة كانت دون رياح فان تيارا من الهواء نفذ داخل الغرفة فأدى الى تراقص شعلة النار فى المدفأة التى كانت منذ هنيهة ضعيفة فى شبه حزن .

وكانت الآلات الوترية التى يأتى صوتها من الدور الأرضى فى شغل ح أنغام موسيقى الفالس الراقصة فقد كان مستر فيلكس يقيم حفلا لعيد الميلاد

واستدرت بعد هذه النظرة السريعة لالتقط علبة نشوق أخرى .. وعندما أمسكت بها أصابعى ارتفع فجأة صوت الموسيقى ورفعت نظرى لأرى واقفا عند عتبة البـــاب رجلا حقيرا ربع القـامة يرتدى الملابس السوداء .

هزته المفاجأة ولكنه بعد لحظة قال « آه . لا تؤاخذنى يا صديقى ولكنك تبحث فى الدرج الخطأ » .

وقبـل أن أتمـالك نفسى مشى الى النافذة وأغلقهـا وأردف قائلا « من الافضل أن تظل ساكنا لكى يمكننا أن نتفاهم » وللعلم فان بالمنزل خدم بالدور الأرضى . أما اذا سـولت نفسك الهروب من حيث أتيت فسـتجد فى انتظارك ثلاثة من رجـال البوليس على مسافة يسيرة من هنا كنت استأجرتهم لتنظيم مرور العربات ولكنهم وقـد وصل الآن آخر الضيوف فسيستريحون قليلا . ثم لدى صفارة غدارة أيضا .

وأدار يده وفتح دولابا قريبـا من النـافذة ودسها بين محتوياته وأخرج الغدارة ثم أضاف قائلا « انها معبأة » قالها باللهجة العملية التى لم يعتورها ـ بعد كلمة الاستعجاب القصـيرة الأولى ـ أى خلجة أو انفعال .

وأمام كلّ هـذا قلت « دعنـا بكل الوسائل نتكلم »

كان فى سـبيل العبـور الى المدفأة ولكنه استدار بحدة عند سماعه لصوتى وقال « آه . رجل متعلم كما يبدو ثم وضع غـدارته على رف قريب وأخذ ورقة مطوية من زهرية قريبة وانحنى وأشعلها من نار المـدفأة وقام باضـاءة الشموع فى شمعدان من الطراز القـديم كان موضوعا فوقها وكان عددها خمسة قام باضاءتها جميعها .

وقد ظهر على ضوء الشموع انه حليق الذقن والشارب وخط الشيب شعره مرتديا الاسود فى اناقة تامة .. سـترة سـوداء للسـهرة . وصـديرى مفتوح وقميص منشى لابـد وانه اسـتغرق الساعات فى غسله وكيـه .. وشراب حريرى اسودوحذاء أسود لامع ..وقد تبينت فى اللحظة السـابقة قبـل ان يستدير ناحيتى انفه الكبير وابعادراسه الضخم المتناسق مع انفه .. وكان يصح أن يعتبر حجـم الراس الغـير طبيعى نشازا لولا الكتفان العريضـان اللذان يحمـلاها .. وعنـدما واجهنى بكليته وظهره للمدفأة كان صـدره وكتفاه يتدرجان فى رفق الى فخذيه الرياضيين ثم يستمران فى الضيق حتى ركبتيـه فارجله واخيرا قدميه الذى يمكن لاى امراة ان تفخر بهما .. وذكرنى وهـو فى هـذا الوضع بمصارع ثيران كنت رايته منذ اعوام وهو يواجـه ثورة فى حلبة مصارعة الثيران فى مدينة سيفيل .. وكان يحمل معطفا اسود على ذراعه اليسرى وفى يده قبعـة اوبرا مغلقـة ملتصقة بجنبه الايسر .

وعندما اغلق النافذة ثم عندما بحث واخرج الغدارة ثم أخيرا عند اشـعاله للشـموع كان يسـتعمل يـده اليمنى فقط .

وقطب حاجبيه محدجا بى وسـأل « سيد مهذب ؟ » .

وقلت وانا اضحك ضـحكة مريرة كانت فى حدذاتهاتفصح عن تربيتى التى

لم يكن يناسبها هـذا الموقف الشـائن «حسنا» ربما تكون احـد هؤلاء الذين يخلطون بين النشأة والسلوك الشخصى .. ولم يتركنى اكمل واجاب دون أن يبدو منه مقاطعتى « الى حد معين .. وانى اتصور ان كلنا يفعل ذلك » وقلت « ومع كل فان لى أن اتحدى ذلك .. ولكن يمكنك ان شئت أن تسـمينى رجلا .

نال بعض التعليم .. لقـد كنت فى كلية ماجدالين فى وقت ما ولكنى تركت اوكسفورد دون ان احصل على مؤهل علمى .

ومال براسه جانبـا وقال « آه .. لعب الورق » .

واجبت بحرارة « مؤكـد لا .. انى مؤمن بأن الظواهر ضـدى غير انى لم اكن من مثل هذا الطراز .. الواقع ان ماحدث كان نتيجة لمراهناتى فى سباق الخيل » .

واومأ براسه وقال « اذا فانت الآخر رغم عدم تحديك لاترضيك التفرقةبين نشأتك وسلوكك الشخصى نحن نختلف فى وضع الخطوط ولكن كل منايرسمها فى مكان او آخر .. ماجدالين ايه ؟ اذا لم اخطىء فان قدامى ماجدالين بمـا فى ذلك بعض خريجى دفعتك مجتمعين فى هذه اللحظة فى بهـو الكلية احتفالا بعيد الميلاد يسـتمعون الى المترنمين بأغنية « جلوريا »

قلت « هذا التذكر يؤلمنى اذا كان هذا مدعاة لرضائك »

ولمعت عينا مستر فيلكس وقال «عاطفى مرهف الحس ؟ احسن واحسن فلدى المهمة التى تناسبك تماماً .. ولكن هذا مجاله بعد قليل .. ومع ذلك فدعنى اقول لك بأنه لابد وانك سقطت لثوك عندى من السماء .. الواقع انك لابد وان تكون كذلك . ولكن رجائى الا تعود نفسك على ذلك فقد كلفتنى هذه التحف الكثير .. وربما كلفت آخرين اكثر . فعلبة النشوق مثلا التى كنت ممسكا بها منذ لحظة كلفت فى وقت من اوقات تاريخها . اى نعم ودفع فيها حوالى المائتى مليون جنيه وبدا يداعبنى الأمل بانى اتعامل مع رجل مجنون . ولكنه استطرد مصححا نفسه وقال « أو بالحرى المبالغ التى رفعت من اجل تنشيقة واحدة من نشوقها .. ارجو ان تفتحها بعناية فستجد بها نفس النشوق الأصلى الذى بسببه قامت الحرب بين فرنسا والنمسا .. فقد رفض يا سيدى وزير النمسا المفوض بعد ظهرة احد الأيام المنكوبة ان يأخذ من العلبة التى بيدك ما كان مستعداً بسرور ان يشتريه بعد ثلاثة اسابيع ــ ولكن بعد فوات الوقت بملايين عديدة .. يمكنك ان تلاحظ التاج الامبراطورى اللى الغطاء ومن حوله النحل .. لقد اشتريتها بنفسى ياسيدى بستة جنيهات من احد تجار العاديات فى شارع « فواد » ولكن السعر سيرتفع قطعاً .. وانى اجزم بأن سعرها سيصل الى ثلثمائة جنيه على الأقل عندما يحين قضاء الله واترك هذه الحياة .. وثلثمائة جنيه ستكون لها قيمتها عند اقامة نصب تذكارى لى.

ورددت قائلا «نصبك التذكارى؟» .

وأومأ ثانية وقال « ستسمع عنه فى الوقت المناسب ويبدو انك ستكون مستمعا ممتازا . ان لديك مواهب لاتحسن استغلالها . يكفى الآن انى اقول اننى عاطفى ومرهف الحس مثلك .. واننى لم اتزوج قط ولم انجب اطفالا وليس لدى سوى ثقة مهزوزة فى المستقبل ولكن احساساتى عطشى تريد أن تثبت حقيقة وجودها . ربما عن طريق نوع من الاستمرار والخلود .. ومع ذلك فلايمكن أن اناقش هذا الموضوع فى هذا المكان فى وقت مثل هذا .. فانه كما يتبين من صوت القيثارات فقد اوشك الرقص على الانتهاء وسينفذ صبر ضيوفى . ثم توقف عن الكلام برهة واقترب منى وقال « آه .. ولكن اسمح لى » ثم مد يده وامسكنى فجاة من ياقتى .. واعتقدت انه قبض على وانى اخذت على غره فلم اكن على استعداد لما حدث وتراجعت خطوة موجها قبضتى استعدادا للضرب . ولكنى شعرت فى هذه اللحظة بيده تتراخى بحركةسريعة وكان اصابعه تدق فى مؤخرة راسى وسمعته يضحك .. ولكنوقبل اناكيل الضربة قفز الى الخلف ممسا بيده ارنبا ابيض اللون وقال « خدعة بسيطة ايه .. وقديمة » .

ثم فتح قبعته الاوبرا واسقط فيها الارنب ورمى بيده وراءه واخرجارنبين ابيضين من اذنيهما وتابع حديثه قائلا « ولكنها ستبعث السرور الى نفوس

اصدقائى الصغار فى الطابق الارضى .. والواقع انى اتمرن على ذلك بين الحين والآخر » .

ووضع الارانب على ارض الغرفة حيث هزت نفسها وقفزت مسرعة لتحتمى بستائر النافذة وقال « انت بالذات الرجل الذى اريده .. وساجعلك كما يقولون تغنى من اجل عشائك » ثم خطا نحو الدولاب واخرج رداء قرمزيا محلى بالفراء الابيض واستطرد قائلا « كنت انوى ان ارتديه شخصيا » ثم توقف فجاة لما بدى على وجهى من تعابير وبدا يضحك بطريقة جعلتنى اتمنى لو امسكت بتلابيبه .

ـ لا .. لا .. انى افهم مايجول بخاطرك . توارد خواطر .. قاعة المحكمة ايه .. ولكن ليس هذا بروب محاكمة يا صديقى . ان هذا ملك «لسانتاكلوز» وهذا هو شعره المستعار نوع آخر من الشعر المستعار كما ترى يحيطه باكليل من الورود .. وهذه لحيته منثور عليها الفضة وكانها البرد « ثم رفع الشعر المستعار واللحيةناحية الشباك ليداعبهما القمر بضوئه وقال « البس بسرعة وكذلك هذا الحذاء ذا الرقبة ، ودس يده فى الدولاب واخرج زوجا من الاحذية الطويلة مشبتا فى اعلاه القطن ليبدو كالثلوج .

وبعد ان تدثرت بكل هذا خطا الى الخلف ونظر الى متمعنا بينما كنت اثبت اللحية وقلت « ارجو ان تتذكران هناك عقابا وعقابا وانه مهما كانت اللعبة فان اشد عقاب هو ان يلبس الانسان ليبدو كالابلة .

ـ ولكنك ستلمس روح اللعبة حالا وبدا يدعك يديه ثم ظل يفكر لحظة وقال وهو ينظر اتجاه المدفاة وقال « الواقع انه كان يتحتم على ان اجعل سانتا كلوز ينزل من المدخنة وخاصة ان فوهتها تقع فى اعلى هذا المكان بالضبط واعتقد انها كانت تسعكولكنى لست متاكدا اذا كان خادم المنزل قام بتنظيفها هذا الربيع ام لا .. ومع ذلك فقد توقفت الموسيقى عن العزفولايجب ضياع اىوقت . وسانقذكمن موضوع المدخنة .

ونادى على ارانبه والتقطها عندما جاءت تقفز من خلف الستائر ووضعهم فى قبعته ثم اغلقها وفى لمح البصر اختفت .

وتشجعت عندما خطا نحو الباب وقلت « لاتؤاخذنى .. ولكن .. ولكن هذه الاشياء الموجودة بالحقيبة ...

ـ اوه . احضرها معك بكل السبل .. فلربما تضطر ان تمنح هدية او اثنتين عند نزولنا الى المدعوين وألقينا نظرة من اعلى السلم الى اسفل حيث كانت هناك وفرة مضاءة بالثريات المصنوعة من الورق ذات الالوانالمختلفة الزاهية .. اما الشرفة وكذلك الصور القديمة المعلقة على الحائط فكانت جميعها مزدانة بالزهور المجدولة .. هذا بجانب نبات « الميسلتو » الذى كان يتدلى من ثريا كبيرة تلمع بمئات من قطع البللور المشطوف وتحتها اثنان من الخدم فى ازيائهم التقليدية الزاهية يعبران فى تلك اللحظة الردهة ومعهما اطباق من الحلوى والجيلى .

وكان الخادمان من ذوى الخبرة تعودا الا يظهروا اى انفعال لما يحدث

فى منزل سيدهما .. وعندما شاهدانى اهبط السلم فى ملبسى المضحك لم يبد عليهما الدهشة بتاتاً ووضع احدهما صينيته على احدى الموائد وتقدم ببطء الى أن وصل مستر فيلكس الى آخر درجات السلم وفتح لنابابا على يميننا. ووجدت نفسى فجأة عند مدخل غرفة احاول جاهداً الرؤية خلال شعله هائلة من النور تملأها .. وعندما حملقت الى ابعاد الغرفة التى طليت أرضها بالشمع وجدت عند نهاية الجهة المقابلة منصة عالية .

ولولا أن الضوء كما يعرف الجميع اسرع من الصوت لجزمت أنه وقبل رؤيتنا للنور وصل الى سمعنا أصوات متلاحقة .. اصوات اطفال سعداء .. اصوات صمت آذانى حتى قبل أن تلمح عينى مابالغرفة... والأطفال فى الغرفة بعضهم فى جماعات صغيرة والبعض الآخر لاهث ضاحك يستمتع بالرقص ثم يرتمى متهالكا من التعب على المقاعد الوثيرة المتراصة جوار الحائط .. ولكن هؤلاء كانوا القلة فغالبية المدعوين كانوا على العربات الخاصة بالعجزة او جالسين وبجانب كل منهم عكازه .. أما المهدلة ايديهم على سيقانهم فكانوا العميان منهم .. ورغم انى لست من المغرمين بالاطفال فقد تلهفت حسرة على هؤلاء الاطفال الصغار العجزة والمقعدين .. ولكن الصدمة الكبرى التى اثارت شفقتى وهزت كيانى هو ان كل هؤلاء الاطفال كانوا من فاقدى البصر وكانت هذه العيون الضريرة هى وحدها الرحيمة بى عندما اشار مستر فيلكس الى بصفتى « سانتا كلوز » ان اتبعه وسط صفين من العيون المحمقة بدهشة واستغراب وكانت اولى صيحاتهم عندما وقع نظرهم على عند مدخل الباب « اوه .. اوه » كان كل منهم يقولها بدوره عندما اخذنا طريقنا بطول الغرفة .. وكانت كل شمعة وكل عاكس ضوء وكل قدم من ارض الغرفة اللامعة وكانها مسلطة على لأظهر بوضوح لجميع المدعوين

ودخلنا الى المنصة التى صبت لتشبه خشبة المسرح بواسطة بعض درجات من سلم خشبى صغير تحيطه الاعلام الملونة .. واشار مستر فيلكس بقبعته للغرفة الموسيقية لتعزف لحن « جنتلمان عجوز طيب » (وهو بذلك يقصدنى او بمعنى آخر سانتا كلوز .. وانى اترك لكم ان تتصورونى وانا اقف كالابلة ثم تقدم نحو اضواء المسرح وقدمنى شارحا للمدعوين الصغار بأنه قابلنى أتجول فى الدور العلوى منقبا بين اكثر ادراجه سرية لكى املأحقيبتى بهدايا الموسم لهم . وكان يتوقف بين الفينة والاخرى عن حديثه لكى يقطف

من لحيتى بخدعة من يده أنواع المكسرات والحلوى ليلقيها لمشاهديه . وقفز الاطفال افواههم دهشة بادىء الامر وحملقوا الى الفنيمة السحرية الملقاة على الارض دون أن يتحركوا .. ولكن وتدريجيا تقدمت طفلة الى الامام والتقطت احدى المكسرات ثم صاحت فرحة عندما تبين لها أنها حقيقة . وكان هذا بمثابة علامة الهجوم العام . واستمر فيلكس فى حديثه ولكن يده كانت تزداد سرعتها نحو لحيتى وشعرى المستعارين ثم تنهال المكسرات على ارض الفرفة كالمطر .

ورايت اطفالا يلتقطون البعض منها ويحملونها الى اخوانهم واخواتهن الضريرى البصر يضغطونها بين ايديهم المتعجبة المتحسسة مؤكدين لانفسهم بانها حقيقة . ورأى مستر فيلكس ذلك ايضا وتوقف سيل كلماته التى تحشرجت فى حلقه وبسرعة دون أن يلحظ احد توقفه ـ فقد كانت المكسرات تنهال من الشمال واليمين والاطفال يصرخون جماعات ـ قال : « اننى عاطفى » . وارتفع صراخهم وتجمع فى صيحة واحدة مدوية من الضحك .. وعندها

كان مستر فيلكس قد تمالك نفسه ودس يده فى رقبتى واخرج الارنبان وهما يتملصان بين يديه ثم فتح قبعته (الاوبرا) وادخلهما ليغلقها ثانية وفى ثوانى اختفى الارنبان فى الهواء ... ولكنه فتح القبعة ثانية وسحب منها باردة وراء باردة من شريط احمر واخضر وابيض وازرق واصفر مختلطا بكميات من ورق اللعب .. ثم وبخدعة اخرى من يده جعلها تلف فى الهواء وتسقط بعضها فوق البعض كأوراق الشجر .

وقال لاهثا « حان دورك الآن » قالها عندما انتهى الشريط ثم اخرج كرنبة هائلة الحجم وقذف بها لتدور حول الفرفة ثم أمسك بحقيبتى وهز رداؤه الخارجى عليها مرة واحدة وارجعها لى ثانية وهى منبعجة محشوة لآخرها بجميع انواع اللعب من عرائس وطبول وصناديق من الحيوانات وعساكر خشبية وغيره .

ـ والآن سانتا كلوز .. افسحوا الطريق لسانتا كلوز .

واصابتنى العدوى واندمجت فى الدور الذى كنت اقوم به ونزلت من المنصة وبدات فى توزيع الهدايا شمالا ويمينا .. ولم يكف توزيع الحقيبة المليئة الاولى سوى ثلث الطريق عبر الفرفة فانى كنت اعطى بسخاء وبكلتا يدى .. وعندما كان احد الاطفال العميان يتحسس لعبة لمدة طويلة ربما لانها لم تنل اعجابه كنت اسقطها عند قدميه واحاول مرة فاخرى وثالثة الى ان ارى ابتسامة الرضا على شفتيه وتبقى اللعبة حيث سقطت .. واخيرا اندمجت كلية بروحى وجدانى فى هذه اللعبة واصبحت مستهترا الى ان فرغت الحقيبة حين لمست يدى المجوهرات فى قاعها فاحسست برعشة باردة تهز كيانى ونظرت عبر الفرفة ولاحظت ان مؤونتى انتهت بينما لم يتسلم ثلثا الاطفال هداياهم .. وتفلت راجعا ملتقطا فى

طريقى اللعب التى كنت اسقطتها بين اقدام الاطفال ضريرى البصر ..

والتقت عيناى بعينى مستر فيلكس الذى كان يومىء استحسانا لما كنت افعل واخيرا اخذ حقيبتى مرة اخرى ومرر رداءه الخارجى عليها وناولها لى ثانية وهى محشوة باللعب لحافتها

اما ثالث مرة فلم يكن قد تبقى من الاطفال سوى عدد ضئيل جلهم من طوال القامة الذين بقى ارضاؤهم . ولكن هؤلاء ايضا تسلموا هداياتهم ـ وعندما كان كل زوج من الايدى المتلهفة مليئا استدرت ثانية وانا فى انتظار الامر التالى

ولكن مستر فيلكس كان قد نزل من على خشبة المسرح تاركا الستار ينزل وراءه . ووقف وظهره لى ملوحا بكلتا ذراعيه للفرقة الموسيقية .. وعندما بدأ الموسيقيون عزف سيمفونية «الالاعيب» ارتفعت الستارة بعد انزالها مباشرة .. ارتفعت عن منظر يمثل شارعا به حوانيت مزينة بمناسبة عيد الميلاد تغطى حافاتها الثلوج .

ثم وبينما لا تزال سيمفونية « الالاعيب » تعزف يدخل مهرج « البانتومين » ومعه رفيقته هو يراقصها ، ويقذف بها الى الشباك العلوى من حانوت الخباز . اما هو فيدخل حانوت السمك فى نفس الوقت الذى يظهر فيه «البلياتشو» بعصاه التى يتعثر سرواله بها بين الحين والآخر ويليه اثنان من رجال البوليس وقد تدثرا بعقود من السجق . ويتشاجر الجميع ويجرى الواحد وراء الآخر الى حانوت السمك ويخرج المهرج بعدها هاربا وبيده قطعة من السمك ثم يناولها الى البلياتشو وفى اثرهم رجلى البوليس . ولكن السماك وهو الاخير فى هذه المعمعة يصطدم بالمهرج ويمسك الاخير برميلا من الرنجة ويقذف بما فيه فى وجه الآخر .. ويقف الاثنان يواجهان بعضهما وهما يتراشقان بالرنجة . هذا بينما كان الاطفال يستلقون على ظهورهم من الضحك

وكان هذا البانتون المشهور اشارة بنهاية الحفل . فما الذى يقف بعد البانتومين بين طفل واحلامه السعيدة؟ وخصوصا وهو ذاهب اليها ويداه مليئتان بهدايا عيد الميلاد . وبعد خمس دقائق من نزول الستار وجدت نفسى واقفا بجانب مستر فيلكس فى الردهة وهو يودع ضيوفه متمنيا لهم ليلة طيبة . ثم تحركت اثنتا عشرة ممرضة تامى الخبرة بين ارجاء الردهة وهم فى شغل بالباس الاطفال الذين كان يداعبهم النعاس من متعة السهرة لحد انساهم شكر مضيفهم ثم حملوهم خارجا الى الشرفة حيث كان الخدم بحلتهم القشيبة يقفون بجانب ابواب العربات التى كانت استؤجرت لهم واغلقت الابواب الواحد

بعد الآخر ثم وبدون كلمة امر اخذت العربات طريقها بين الثلوج المتراكمة .

وعندما رحل اخر ضيوفه استدار مستر فيلكس الى وقال « لقد انتهت المسرحية ولكن عندما ارحل عن هذير الدنيا فانها ستكرر عاما بعد عام ليلة عيد الميلاد فى مستشفى العجزة. فان وصيتى تتكفل بذلك .. وهذا سيكون نصبا تذكاريا . ولكن لبضعة أعوام اخرى فانى آمل ان اقيم الحفل هنا فى منزلى . تعال يمكنك الآن خلع ردائك وشعرك المستعار ثم تذهب فى رعاية الله . كان يسعدنى أن احدثك ولكنى متعب كما تعرف ، ارحل اذن تصحبك السلامة .

وطلب من خادمه ان يفسح لى الطريق ليصحبنى هو هابطا معى الى آخر درجات سلم الشرفة عند حافة الثلوج التى تغطى الشارع ثم توقف بينما اخذت طريقى راحلا وهو يلوح لى مودعا وانا فى سبيلى الى غياهب الليل .

ووصلت الى نهاية الشارع ثم الى الكوبرى المقام على النهر قبل ان ادرك انى كنت احمل الحقيبة . ثم كانت الصدمة عندما تذكرت انها لا تزال تحوى المجوهرات

وعند عمود النور الثانى فوق الكوبرى توقفت ورفعت الحقيبة ووضعتها على حافة السور المغطى بالثلوج ودست يدى وسحبت خارجا .. سمكة رنجة سمك رنجة.. نعم كميات من الرنجة الحمراء تملأ الحقيبة الى آخرها ... والقيت بخفة وراء ضفة من فوق السور الى المياه السوداء . ومع ذلك لا يزال يحدونى الامل ان اجد تحتها المجوهرات ولكن المجوهرات كانت قد اختفت . او على الاقل كنت اعتقد انها اختفت جميعها عندها ـ وذلك بعد أن قذفت بآخر رنجة ـ تحسست قاع الحقيبة.

ماذا .. شىء يشك اصبعى، سحبته ووضعته تحت نور المصباح. كان بروشا من التوركواز ومحلى بالماس . حملقت فيه لمدة دقيقتين على الاقل . وكنت فى منتصف طريقى لادسه فى صدريتى عندما اتخذت فجأة قرارا آخر وقفلت راجعا من حيث اتيت متجها الى المنزل

وكان مستر فيلكس لا يزال واقفا عند اسفل درجة بسلم الشرفة .وفوقه وبدون حراك كالتمثال كان يقف الخادم بجانب باب المنزل الضخم منتظرا دخول سيده

ثم قلت وانا ممسك بالبروش « لا تؤاخذنى يا سيدى ... »

وقال مستر فيلكس بهدوء وادب جم « كنت اقصد ان يكون هدية منى اليك. لقد دفعت خمسة جنيهات ثمنا له فى احد المزادات . لكن قيمته تساوى ثلاثة امثال هذا المبلغ . ومع كل فاذا كنت تفضل مبلغا نقدا كما يهيأ لى فى مثل ظروفك الحالية .. » ثم دس يده فى جيبه واخرج خمسة جنيهات واعطاها لى قائلا : « ومرة اخرى . اذهب فى رعاية الله » .